

النظريات التفاعلية الرمزية والبنائية الاجتماعية: الاتصال كبناء للواقع

يرى كل من التفاعلية الرمزية والبنائية الاجتماعية أن الاتصال هو عملية أساسية في بناء الواقع من خلال التفاعل بين الأفراد. تعمل التفاعلية الرمزية على بناء المعنى من خلال الرموز واللغة في التفاعلات الاجتماعية الصغيرة، بينما تركز البنائية الاجتماعية على كيفية قيام المجتمع بتعيين قيمة ومعنى للأشياء بشكل مشترك، مما يؤكد أن ما نعتبره "واقعاً" هو بناء مشترك يتم من خلال التفاعل الجماعي.

التفاعلية الرمزية

- **دور الأفراد:** تركز على الكيفية التي ينشئ بها الأفراد الواقع لأنفسهم من خلال تفاعلاتهم اليومية، مع التركيز على الرموز واللغة.
- **بناء الذات:** تعتبر أن الذات تتشكل من خلال التفاعلات، وأن طريقة تعاملنا مع الآخرين والأشياء تعتمد على المعنى الذي نحمله تجاهها.
- **المعنى المشترك:** يبدأ المعنى من خلال التفاعلات الفردية ويُعاد التفاوض عليه باستمرار، مما يؤكد أن المعنى لا يكمن في الأشياء بحد ذاتها، بل في الطريقة التي نُعرّف بها هذه الأشياء من خلال التفاعل.

البنائية الاجتماعية

- **دور المجتمع:** تركز على كيفية قيام المجتمع ككل بتعيين قيمة ومعنى للأشياء والظواهر، وهي عملية جماعية.
- **الواقع المشترك:** تؤكد على أن ما نعتبره واقعاً ليس حقيقة موضوعية، بل هو بناء مشترك يتوافق عليه أفراد المجتمع، وأن هذا البناء يتم من خلال الاتصال والتعاون.
- **التفاعل كأداة:** تستخدم البنائية الاجتماعية التفاعلية الرمزية كأداة لفهم كيف يتم هذا البناء المجتمعي للواقع من خلال التفاعلات اليومية وتبادل الرموز.

تفسير التفاعلية الرمزية للاتصال: هي عملية اجتماعية يتم فيها خلق المعاني وتشكيل الذات عبر التفاعل المستمر باستخدام الرموز مثل اللغة والإيماءات. تعتمد هذه النظرية على أن الأفراد لا يتفاعلون مع العالم بشكل مباشر، بل من خلال الرموز التي تعكسها الأفعال، وأن هذه الرموز تُفسّر وتُعاد تفسيرها باستمرار، مما يؤدي إلى بناء فهم مشترك للعالم وتشكيل سلوكنا وهوياتنا.

المبادئ الأساسية للتفاعلية الرمزية في الاتصال:

- **المعنى الرمزي:** الفرد لا يتعامل مع الواقع بصورة مباشرة، بل من خلال الرموز التي يمنحها معاني محددة. هذه المعاني هي التي تحدد طريقة تفاعله مع الأشخاص والأشياء.
- **التأثير المشترك:** بناء المعنى ليس عملية فردية فقط، بل هو نتاج تفاعل مستمر بين أفراد المجتمع. الأفراد يتناقشون ويتفاوضون حول معاني الرموز لتوحيد فهمهم.
- **تشكيل الذات:** الذات تنشأ وتتطور من خلال تفاعل الفرد مع الآخرين. من خلال النظر إلى أنفسنا من خلال عيون الآخرين (الذات الاجتماعية)، نكتسب وعياً بذواتنا وتتحدد هويتنا.

- **الاستعداد للتفاعل:** قبل القيام بأي سلوك، يقيّم الفرد معاني الرموز ويتوقع ردود فعل الآخرين. ثم يعدّل سلوكه بناءً على هذه التوقعات والمعاني المشتركة .

أمثلة عملية:

- **الاستخدام اليومي للغة:** نحن نفهم الكلمات والعبارات لأننا نتبادل معانيها باستمرار. فكلّمة "حب" لها معنى في السياق الثقافي والاجتماعي الذي نشارك فيه.
- **الهوية عبر وسائل التواصل الاجتماعي:** يعبر الأفراد عن أنفسهم من خلال الرموز والصور التي ينشرونها. وهذا يساعد على بناء صورة رمزية لهم، والتي يتفاعل معها الآخرون، مما يؤثر بدوره على نظرتهم لأنفسهم وتشكيل هوياتهم.
- **التعليم:** في الفصل الدراسي، لا يقتصر دور المعلم على إعطاء المعلومات. بل يخلق المعلم بيئة تفاعلية رمزية. يفسر الطلاب الرموز (مثل الأسئلة والأفكار) ويتفاعلون معها، ويعدّلون سلوكهم بناءً على تفاعلهم مع المعلم والزملاء .

تفسير البنائية الاجتماعية للاتصال: هو أن المعاني والواقع لا توجد بشكل مستقل، بل تُبنى وتُنشأ من خلال التفاعلات الاجتماعية. يُنظر إلى الاتصال على أنه عملية تفاعلية مستمرة يخلق فيها الأفراد فهمهم المشترك للعالم من خلال تبادل الرسائل، سواء كانت لفظية أو غير لفظية. تؤكد البنائية الاجتماعية على دور السياق الاجتماعي والتفاعلات بين الأفراد في تشكيل الواقع والمعرفة .

المبادئ الأساسية

- **المعرفة تُبنى اجتماعيًا:** لا توجد الحقيقة بشكل موضوعي جاهز، بل يساهم الأفراد في بنائها عبر التفاعل مع الآخرين.
- **دور التفاعلات الاجتماعية:** الاتصال هو قلب هذه العملية، حيث تتفاوض الأطراف حول المعاني وتنتج فهمًا مشتركًا للعالم.
- **الرسالة كجزء من التفاعل:** الرسائل اللفظية وغير اللفظية (كالإيماءات واستخدام الملابس) هي جزء من هذا التفاعل، وهي أدوات تعبير عن الذات والعالم.
- **السياق الاجتماعي يُحدد المعنى:** البيئة المحيطة بالفرد، مثل العائلة والمدرسة والمجتمع، تُشكل طريقة فهمه وتفاعله.
- **دور المتعلم النشط:** الفرد لا يتلقّى المعلومات بشكل سلبي، بل يبني معرفته بنفسه ثم يبحث عن الدعم والمساعدة من الآخرين لاستكمال عملية البناء .

أمثلة وتطبيقات

- **تأثير وسائل الإعلام:** في سياقات مثل الانتخابات، قد يكون للمناقشات بين الأفراد (التفاعلات الاجتماعية) تأثير أكبر على قرارات الناس من مجرد التعرض المباشر لوسائل الإعلام.
- **التعلم النشط:** في البيئة التعليمية، يقوم الطلاب بتعليم بعضهم البعض وبناء معرفتهم من خلال العمل الجماعي والتفاوض حول الأفكار.

- **بناء الهوية:** الاتصال الشخصي يساعد في بناء تقدير الذات والمفاهيم التي يحملها الفرد عن نفسه من خلال التفاعل مع الآخرين .